

فنون
تشكيليةمعرض استعادي وكتاب تاريخي في «غاليري صالح برک
عبد الحميد بعلبكي... وطنه

نيكول يونس

لأنّ العطور وفية لناسها، للأماكن، للذكريات والأحداث... ولأنّ لوحات عبد الحميد بعلبكي (1940-2013) عطورُ أمكنة، وشذى ذكريات وأحداث وناس.. تقف عشرات اللوحات والرسومات والمنحوتات في «غاليري صالح بركات» وفاء لبعلبكي، يرافقها كتاب توثيقي، حاك كلماته بالحب والاحترافية والوفاء نفسها، المؤرخ الفني والفوتوغراف غريغوري بوشاكجيان، هو إذا معرض الوفاء لعبد الحميد بعلبكي من مختلف المجموعات الخاصة. دعوة من شذى، لدخول تاريخ فنان من الرعيل الذي غرس زرعه رغم الحروب، ليثمر بعد رحيله. واليوم هذا الزارع هو القصة، وهو قصة أترابه وزملائه، وهو إلى ذلك قصة وطن! نعم، هنا تُروى قصة لبنان باختصار فني بامتياز. لبنان السلم فالعرب فالترقب... لبنان الشباب القادم من الريف إلى المدينة، ثم المهاجر للدراسة، فالعائد إلى الوطن المشتعل حرباً. فالصامد في أرضه، فالمرابي، فالناثر صاحب الموقف وملتزم القضية، فالمتعكف. نعم، هنا بكرم تحبة محترفة جداً ليس شخص عبد الحميد بعلبكي الفنان المرابي فحسب، بل كل ما ومن يمثل بعلبكي! فصاحب الموقف الواضح والصريح من تاريخ الفنون التشكيلية اللبنانية الحديثة والمعاصرة، ترك لنا الكثير، ريشة وقلماً وفكرًا متنوّراً يحاكي حقيقة لبنان واللبنانيين.

عُرف بعلبكي برفضه الدخول في متهاتات السوق الفنية التسليعية، وعرفه طلابه (ضمنياً كاتبة هذه السطور) أستاذاً رادكالياً في اظهار الحقائق ومحقراً على الرؤية النقدية للساحة الفنية اللبنانية. عرفه الحقل التشكيلي اللبناني من زملائه مشاكساً في الفكر، نائراً على الهرطقات الفنية، أرتوذكسي الخيارات البصرية، يواجه الكلمة بالكلمة المقرونة بالدلائل والبراهين، مؤمناً بأقانيم ثلاثة: الفنان، الناقد، الجمهور، كمقومات وجود حركة تشكيلية فاعلة في لبنان. عرفه النقاد ناقداً لهم، إن تساهلوا أو ساهموا في انحراف الفنون البصرية عن بوصلتها الجديّة البناءة. بعلبكي الأكاديمي المتفوق يشهد طبيّ رسوماته المنتشرة في «غاليري صالح بركات»، على قوة ريشته المقرونة بالموهبة الفذة. حينها، لم يكن للكاميرا بعد دور لصيق في محترفات الفنانين، فخطوطه بمادة Sanguine على الورق القطني في هذا المعرض الاستعادي التكريمي تشهد على ذلك، والمنحوتات الواقعية تنطق! لكن بعلبكي لم يكن أسير الصيغ الأكاديمية الصرفة، بل كان خياله والواقع وبعض من ترميز، الثلاثية الذهبية في عمله أيضاً.

لوحات كالة الزمن

يدعونا صالح بركات إلى جولة في آلة الزمن السحرية. وإذ بنا ننزور بيروت في عقود خلت، نقابل ناسها، نعم كلها هنا في لوحات بعلبكي! نتعرف إلى تفاصيلها، ونكاد لوهلة أن نشم عطر البحر وطعم الملح في مائه، على الكورنيش القديم لمنطقة رأس بيروت في بداية الثمانينات. نفهم في سياق الرحلة أجواء حقبة



المقهى، (زيت على كانفاس - 110 × 90 سنتم - 1979. مجموعة غسان الخطيب)

تحفة توثيقية ببصمة غريغوري بوشاكجيان

أجمع. حتى في ما يخص النوعية، لقد عملنا على إصدار مادة بجودة عالية من ناحية الطباعة، رغم الظروف وضمن الإمكانيات، لأننا أردنا أن نقوم بما نعتبره واجبنا. ففي النهاية، هو شاهد على عصر، ولديه وجهة نظر معينة نحترمها. لذا عملنا بجهد على مدى ثلاث سنوات لكتابة هذا الإصدار الجدي والمحترف. وهكذا نسهم بدورنا في حفظ ذاكرة تاريخ معين، خاصة بما يمثله بعلبكي من شريحة ووجهة نظر فنية قلما ظهرت للعلن». هي إذا تحفة توثيقية هامة صاغها بوشاكجيان وقدمها فريق عمل محترف، تضاف إلى مكتبة الفن التشكيلي اللبناني والعربي والعالمي، تكريم لبعلبكي وفاءً بأمانة قل نظيرها.

نيكول...

يتابع بركات: «كانت مسيرة بحث طويلة تعاوننا مع فريق عمل كبير وبشكل خاص مع ابنه الفنان أسامة بعلبكي. كان علينا أن نبحث عن المعلومات والأعمال الضائعة، وعن صور في الأرشيف، مثل لوحة «عاشوراء» الضائعة، التي رسمها بعلبكي ليس بالمعنى الديني المتعارف عليه، بل كان حينها يفكر بفلسطين، بالعدو، بالتضحية، بالغدر». ويضيف مُفضلاً: «كان الخيار واضحاً. أردناه كتاباً يختصر حياة عبد الحميد بعلبكي، ويحوي نصوصاً كتبها بنفسه! وكان يهمننا الشق المرتبط فيه باللغة العربية. فهذا الفنان كان يتكلم العربية. وفي الوقت عينه كنا نريد أن نتوجه ليس فقط إلى مجتمعنا المحلي، بل نريده كتاباً لإحياء ذكراه. لذا كتبنا النص الأساسي باللغة الانكليزية كي تتمكن من أن نريه للعالم

الراحل الفنية وشهادة خاصة للفنان فوزي بعلبكي الأخ وشريك الريشة، كما لمجموعة من المقابلات الخاصة مع الراحل.

الكتاب بغلافه السميك عمل محترف وجدي. في عصر التكريمات العشوائية، يسطع هذا التكريم حرفية أصيلة وكتاباً متألّفاً يُضاف إلى المكتبة الفنية اللبنانية والعربية والعالمية. لكن ما كان المسار الذي أثمر هذه التحفة التوثيقية الهامة؟ يشرح لنا بركات: «بشكل أساسي كان تعاون بيني وبين غريغوري بوشاكجيان، إذ سبق وتعاملنا معاً. عندما أخبرته عن الموضوع، اهتم جداً ببعده أوسع من سرد قصة فنان، فبعد الحميد بعلبكي بحياته وأعماله يروي جزءاً من قصة لبنان، من الجنوب إلى النبعة فالشياح، ثم فرنسا في بيروت، ثم في النهاية عاد إلى الجنوب».

«الكتاب نافذة عبرها نجوب ونجول»

(جوليان غريبين)

لم تكتف «غاليري صالح بركات» بلوحات المعرض الاستعادي التكريمي كالة سحرية للزمن. كان هناك فريق كامل لإصدار كتاب توثيقي يخط سيره الفنان اللبناني الجنوبي. «عبد الحميد بعلبكي 1940-2013» (160 صفحة). (تصوير أغوب كانليديجيان، تصميم لبسام قهوجي وتدقيق لينا منذر) إصدار تزامن مع افتتاح المعرض جاء باللغتين الإنكليزية والعربية. كتب نصه الأساسي بالانكليزية المؤرخ الفني والفوتوغراف غريغوري بوشاكجيان. وتمت الترجمة الجزئية إلى العربية من قبل أحمد زهراه. توّج القسم العربي أيضاً على مجموعة من كتابات